

الثالوث الاقدس

كلنا نردد : " الله واحد في ثلاثة اقانيم : آب ، ابن وروح قدس " ذلك ان اساس ايماننا المسيحي يبدأ بمعموديتنا على اسم الآب والابن والروح القدس (متى ٢٨: ١٩) . فعندما نقول " على اسم " وليس " على اسماء " يعني اننا نؤمن بوحداية الاقانيم أي الاشخاص الثلاثة تماما كما يعلمنا الكتاب المقدس : " ان الذين يشهدون في السماء ثلاثة : الآب والكلمة (أي الابن) والروح القدس وهؤلاء الثلاثة هم واحد (١ يو ٥: ١٧) . هكذا يشهد الكتاب المقدس على صحة و يقين عقيدتنا القويمة التي أوتمنت عليها الكنيسة منذ العصور الاولى والتي تحملها وتعلنها وتعلمها بالهام الروح القدس ومن خلال خبرات آباءها القديسين " المتوشحين بالله " .

قد لا نجد حرفيا كلمة " ثالوث " في الكتاب المقدس لكننا نجد كلمة " ثلاثة " كما رأينا . فكلية " ثالوث " وردت للمرة الاولى عند الآب تيوفيلس الانطاكي في القرن الثاني ، وقد قبلتها الكنيسة واعتمدها بلا تحفظ اذ لم تجد فيها أي تناقض مع ايمانها القويم . وكل المسيحيين اليوم على اختلاف كنائسهم ، يجمعون بأن الله واحد في ثلاثة اقانيم .

عندما يقول الآباء القديسون ان الله واحد ومثلث الاقانيم انما يعنون ان طبيعة الله هي واحدة في اقانيمه (اشخاصه) بالرغم من تمايز كل اقنوم : فالآب هو الله بحسب طبيعته او جوهره وكذلك الابن هو ايضا الله لان له الجوهر نفسه مع ابيه وهذا ما نقصده في دستور ايماننا عندما نقول " مساو للآب في الجوهر " ، والكلام نفسه ينطبق على الروح القدس .

فمثلا ، عندما نقول ان انطوان وماري واباهما لهم الطبيعة الانسانية نفسها ، فلذلك كل ما يحصل لابيها بسبب من طبيعته كانسان ، سيحدث لهما بالضرورة مثل الجوع والعطش او المرض او الشيخوخة او النمو او الموت ، لانهما ولدا انسانين آخرين بالطبيعة نفسها من ابيهما . ولهذا كل ما هو للآب طبيعيا هو للابن وللروح القدس ايضا مثل الالهة والازلية وعدم الموت والحياة الابدية والخلق...

اما فيما يخص تمايز الاقانيم من حيث انها آب، ابن وروح قدس، فنعلم من آباء الكنيسة ان لكل اقنوم خصائص وجودية يتميز بها عن الاقنومين الآخرين. فالآب ولد الابن وبتق الروح القدس، لذلك فانه غير مولود وغير منبثق لانه مصدر الالهية، الابن مولود من الآب خارج الزمان ولكنه غير منبثق منه، والروح القدس منبثق من الآب خارج الزمان ولكنه غير مولود. هكذا نستطيع ان نفهم في اللاهوت الارثوذكسي معنى قول الرب يسوع: "ابي اعظم مني" (يو ٢٨: ٢٨)، اذ ان الآب هو مصدر وجوده ووجود الروح القدس.

إذا اردنا بكلام آخر، ان نفهم هذا الامر، يمكننا اعتماد مَثَل الشمس: في وجودها (الآب)، وفي نورها (الابن)، وفي حرارتها (الروح القدس). فكما ان لا وجود للشمس بدون نورها وحرارتها كذلك الله الواحد في اقانيمه الثلاثة.

يبقى ان ما كتبنا هو مقارنة بشرية لسر الثالوث القدوس الفائق الادراك. هذه المقاربة تتطلب بحسب آباءنا القديسين تطهيراً واستتارةً وقداسةً (اي تألهاً ليتمكن بواسطتها عقولنا المحدود من فهم ولو يسير جداً، لسر الله).